المستشرق أرنولد جوزيف توينبي و آرائه حول الإسلام (دراسة تحليلية ونقدية)

Orientalist Arnold Joseph Toynbee and his vision about Islam (An Analytical and Critical Study)

Dr. Muzaffar Ali
Assistant Professor, Department of Islamic Studies, Bahria University Karachi Campus
muzaffarali.bukc@bahria.edu.pk

Abstract:
The research titled "Orientalist Arnold Joseph Toynbee and his Vision about Islam (An Analytical and Critical Study)" delves into the influential perspective of renowned British historian and philosopher, Arnold Joseph Toynbee, on Islam. Toynbee's seminal work, "A Study of History," has profoundly shaped Western perceptions of the Muslim world. However, his portrayal of Islam as an "incomplete civilization" has sparked considerable debate and critique, particularly among scholars challenging his Orientalist lens .This paper provides an analytical and critical examination of Toynbee's Orientalist perspective on Islam and its implications within "A Study of History." By scrutinizing the historical context and philosophical underpinnings that informed Toynbee's views, the article reveals the reductionist and essentialist nature of his understanding of Islam. It argues that Toynbee's portrayal oversimplifies the complexity of Islamic civilization and fails to acknowledge its diverse contributions to human history.

Through a nuanced analysis, the research article seeks to interrogate Toynbee's depiction of Islam, aiming to offer a more comprehensive understanding of the religion and its historical significance. By challenging Toynbee's Orientalist framework, the paper contributes to broader discussions surrounding the representation of Islam in Western scholarship and advocates for a more inclusive and respectful approach to studying the Muslim world.

Keywords: Arnold Joseph Toynbee, Orientalism, Islam, A Study of History, philosophy, historical context, essentialism, interpretation of history, Muslim world, civilization.

علاقات أرنولد جوزيف توينبي

سافر أرنولد إلى اليونان بعد انتهاء دراسته لمدة عام، حيث اكتشف لأول مرة أن هناك موضوعات هامة تعادل في خطورتها التاريخ القديم، وهي "المشاكل الدولية المعاصرة". كما يذكر مؤلف كتاب "نظرات في

أرنولد توينبي"، انطلق توينبي في جولة استمرت تسعة أشهر إلى اليونان، حيث سار على الأقدام في كريت، مشاهدًا ومدروسًا آثارها التاريخية. كانت هذه الرحلة بداية لاكتشافات توينبي التي استخدمها في دراسته التاريخية،... [1]وقد عادت هذه التجربة لتبقى عالقة في ذهنه بعد عودته.

بدأ توينبي محاضراته في التاريخ القديم في أكسفورد، وفي الوقت نفسه بدأ الكتابة حول المشاكل الدولية المعاصرة، ونشر مقالات في مجلات بريطانية مثل "مجلة نيشن". في عام 1915، أصدر كتابين بعنوان "القومية والحروب" و"أوروبا الجديدة". كما بدأ العمل في قسم المخابرات السياسية بوزارة الخارجية البريطانية في نفس العام. في عام 1919، انضم توينبي إلى جامعة لندن كأستاذ للغات والآداب والتاريخ البيزنطي واليوناني الحديث، وظل في هذا المنصب حتى عام 1925، حيث عُين بعد ذلك أستاذًا باحثًا في التاريخ الدولي[2] .

دخل المؤلف التاريخ بطريقة مشابهة لابن خلدون، حيث سعى لفهم حقائق العالم وتأثر بفكره. وقد أطلق على مفهومه "العمران"، وبدأ بدراسة الحضارات. ويعرف آرنولد توينبي الحضارة: "بانها وحدة التاريخ الاساسية، وهي عبارة عن مجتمع كبير يضم عدداً واسعاً من البشر ويتميز بالتنظيم الاقتصادي والسياسي والثقافي"[3].أشار توينبي إلى تأثير ابن خلدون عليه، حيث اعتبره من أعظم الفلاسفة في التاريخ[4]، وكتب عنه قائلًا "إن ابن خلدون كان نقطة الضوء الوحيدة في ذلك الأفق، وبلا ريب هو الشخص البارز في تاريخ الحضارة" وكذلك تأثر بفكرة الفيلسوف هنري برغسون: دور الأقلية المبدعة بالتقدم الحضاري[5] موضحًا في أحد مقالاته أن منطق التاريخ لديه ومصادره الأساسية تستمد من مجموعة أفكاره، والتي يمكن وصفها بشكل جيد بأنها "التطور المثالي".

(The basis for Toynbee's historical logic, and the source of its core difficulty, derived from a set of ideas best described as "evolutionary idealism.)[6]

---

1 دكتور السيد أمين شلبي، **نظرات في أرنولد توينبي**، ص 38.

2 الشفقي،**مع آرنولد**، ص 6.

3 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة للتاريخ**، ج1، ص58.

4 نيفن جمعة علم الدين، **فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي** (مصر:الهيئة المصرية العامة الكتاب، 1991 م),ص 21.

5 عماد الدين الجبوري، **عندما يكتب توينبي عن العرب والإسلام**، https://ln.run/9Uy1w 19/09/08)

6 Michael Lang, ***Globalization and Global History in Toynbee***, Journal of World History, Vol. 22, No. 4, Dec 2011, Published by: University of Hawai'i Press, P. 749.

مهماته الحكومية

بعد فراغه من مشاغله العلمية عرفت الحكومة مهارته العلمية، وتوينبي كان يريد أن يدخل نفسه في الإدرات الحكومة ليعرف الحقائق، لذلك عمل توينبي في عدة هيئات علمية، أهمها "المعهد الملكي للشئون الدولية" The Royal Institute of International Affairs (R.I.I.A) وولي عمادته سنوات طويلة (1929 – 1956 م)، و أفاد الخارجية البريطانية بخبراته في سنوات الحربين العالميتين الأولى والثانية... [7]

وعندما حصّل توينبي مهارة خاصة عن فلسفة التاريخ، تطلعت الحكومة البريطانية لخدماته، لذلك أُرسل إلى الشرق الأدنى لبعض الأمور الداخلية في 1914 م -1918 م، وبعد انتهاء المعركة عين رئيساً "استطلاع للشؤون الدولية" (Survey of International Affairs) وكانت الحكومة تطبع تحقيقه أولاً بأول طبع في 1923 م، وكان توينبي رئيساً"استطلاع للشؤون الدولية" إلى 1932 م[8].

للتعرُّف عن جهوده شاهد -الباحث- برنامجه الذي نشر في ذلك الوقت على تليفزيون البريطاني في 1955 م، بوساطة انترنيت على "يوتيوب- Youtube "[9]، وكان يتحدث ويجيب وكان ضيف لكريستوفر رايت Christopher Wrightالذي كان زميله بجامعة هارفارد، وكان عمره في ذلك الوقت التاسعة والستين. وقرأت هذا الحديث في كتاب "مع آرنولد توينبي" كذلك. قال تبيانا لمشاغله "أنني أشير إلى رحلتي الأولى إلى اليونان، حدث هذا عام 1911 م، قبل نشوب حرب البلقان بعام واحد. وذهبت إلى اليونان لأدرس التاريخ القديم- ولم تكن لدي أدنى فكرة عن العالم الحديث. حيث إن هذه الرحلة إلى اليونان من أجل التاريخ القديم ، هي التي وضعت العالم الحديث أمامي في وسط اللوحة[10].

---

7 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة للتاريخ**، الجزء الأول، صفحة: ز.

8 أرنولد توينبي، موجز: سمر فيل، **مطالعه تاريخ**، مترجم الأردوية: غلام رسول مهر(لاهور – باكستان :مجلس ترقّي أدب), ص 11-12.

9 https://www.youtube.com/watch?v=giBeIMd4u7Y&t=486s08/10/2017

10 الشفقي،**مع آرنولد**، ص 26.

ويقول صاحب كتاب "مع أرنولد": "وكان قد أنفق عام 1921 بالخارج لتغطية تطورات الحرب اليونانية التركية لحساب صحيفة مانشستر "جارديان" واسفرت تجربته عن كتاب "المسألة الغربية في اليونان وتركيا"[11].

وكُتب عنه مقالا في "شهرية تيين هشيا" وينشرها في شنغهاي معهد "صن يات صن للنهوض بالثقافة والتعليم". وفي المقال قارنه بمؤلف شبنجلر (The Decline of the West,) "انهيار الغرب" غير أنه أشار إلى أن توينبي يتفوق على شبنجلر من حيث ان الأول ذو نظرة رحبة غير ضيقة، فتوينبي لم يعتبر إنجلترا مركز العالم، حيث شبنجلر ألف كتابه من وجهة نظر ألمانيا محضة[12].

أما آرنولد أغرق نفسه في التاريخ فلذا بعد مطالعته ودراسته فكّر عن رؤية العالم كمؤرخ مشاهد للحقائق،فسافر ورحل إلى البلاد كمصر وغزة وبلاد الأفريقيا و الهند وباكستان وبورما وايران وزار الأمريكان وزار عواصم كثيرة، كما أنه سافر إلى مصر لمحاضرات في 1964م[13]. حيث يقول صاحب كتاب "مع آرنولد": "لقد استغرقت احدى رحلاته سبعة عشر شهرا كاملا... كاتب التاريخ زارنا وشهد لأول مرة قطعة من التاريخ الغابر الأصيل، ووقف لأول مرة أمام الأهرام وخوفو، وهو الذي يعرف عنهما أكثر مما يعرفه كثيرون منا."[14]

المفهوم الديني عند أرنولد توينبي

أن آرنولد توينبي كان يدين بدين المسيحية مع هذا أن أكثر المؤرخين الغربيين لم يقلدوا أنفسهم بالدين خاصة في الغرب الحديث كما يعطي آرنولد أهمية للدين في التاريخ، لمفهومه الديني عرض عليه النقد وعدوا هذا الجانب من السلبيات. وممن تأثر توينبي بهم في الدين، القديس أغسطين وبرجسون. اعتبر بعض نقاده أن توينبي أيا كانت نواياه – إنما يضعف الاحترام للعقل في وقت يحتاج فيه العقل لكل مساعدة يستطيع المثقفون تقديمها، ذلك أنه إذا ما تأمل الأساس العقلاني للحضارة الغربية فإنه من الأكثر احتمالاً أن نشهد تكثيفاً للأساطير السياسية التي تقوي مشاعرنا البدائية، وانتشاراً لأنماط سلوكية غير عقلانية أكثر مما سوف نشهد من إعادة إيقاظ القيم الروحية كما يريد توينبي. يواصل الرأي الناقد لاتجاه

---

11 أيضاً، ص 4-6

12 أيضً، ص 6-8

13 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 1، ص 9.

14 الشفقي، مع آرنولد، ص 9، 11.

توينبي الديني تحفظاته بأن الثورة الدينية التي ينشد توينبي من خلالها "تحول الروح بعيدا عن العالم، والجسد والشيطان إلى مملكة السماء" لايمكن أن تتحقق من خلال الحب النبوي فقط، ذلك لأنه بدون طقوس الدين، والسلطة الدينية، يتلاشي الدين. والغرب الحديث لم يعد يتقبل سلطة الدين أوطقوسه،... فإن توينبي كان يأمل في قديس معاصر مثل القديس فرانسيس لكي يقود الغربيين العاصين والمتمردين ويعود بهم إلى حب الله، وهو أمل إنما يعبر عن روح التقوى والورع عند توينبي وليس عن الواقع. وقد اعتبر النقاد أن هذا الاتجاه عند توينبي يفسر لماذا كان توينبي في أعماله الأخيرة مفتوناً بالديانات الشرقية، فالشرق باعتباره أقل أخذاً بالأساليب العلمية والصناعية ويميل تقليديا إلى التأمل الباطني، قد يكون أكثر تقبلاً للثورة الدينية من الغرب[15].

أن رأي توينبي عن الأديان ايجابي، حيث يقول ويدعي أن في العالم ثلاثة أديان العظمى، بدون كلام على "أي منهم على الحق"، رأيه جيد "إذا ما ألقينا نظرة على الهيئات الدينية الكبرى المنتشرة في العالم في الوقت الحاضر: المسيحية والإسلام؛ سنجد أن الجمهرة العظمى من مريديها..."[16]. كأصحاب التاريخ الثالث أرى رأيه صحيح ايجابي، حيث ما وجدت ذات الفكر في تاريخ المؤرخين الغربيين.

ويعتبر توينبي بالنظرة الدينية، أن الدين هو العمل الجاد للجنس البشري، فإن رسالة المؤرخ هي نداء ذات طبيعة خاصة جدا "إنه نداء الله للبحث عنه والعثور عليه.. فالتاريخ هو رؤيا لله وإن كانت رؤية جزئية لله وهو يفصح عن نفسه في أفعال إلى أرواح تنشده بإخلاص". واعتقد أن مهنته كمؤرخ "هي في النهاية سعي لرؤية الله و هو يعمل في التاريخ" كما اعتبر أن حقائق التاريخ، "هي مفاتيح الطبيعة ومعنى الكون الغامض وكاننا فيه، وأن الواقع الروحي خلف الظواهر و هي الهدف النهائي لكل فضول". وفي يقينه أن الإنسان قد أظهر دائما مشاعر دينية ذلك أنه من خلال الدين حاول أن يجيب على أسئلة جوهرية مثل الهدف من الوجود ومعنى الموت. وقد صنف توينبي الديانات عبر التاريخ إلى ثلاث فئات: عبادة الطبيعة، عبادة الإنسان، وعبادة الواقع المطلق وهو الله[17].

إن المجتمع الجديد في رأي توينبي يقوم على أساس الايمان، ويشير توينبي إلى ضرورة اعادة النظر في دراسة التاريخ البشري، وينحى جانبا التاريخ السياسي والاقتصادي وتكون الأولوية للدين. ويشير إلى أن للعقائد

---

15 أمين شلبي، **نظرات في أرنولد توينبي**،ص 117.

16 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1 ص 358.

17 أمين شلبي، **نظرات في أرنولد توينبي**، ص 58 – 60.

الدينية دورا هاماً في عملية توالد الحضارات، حيث يتم عن طريقها انحدار حضارة من أخرى. أن وراء كل حضارة من الحضارات التي لاتزال قائمة ديانة عالمية تصلها بأصلها من الحضارات السابقة[18]، ويمثل توينبي: "الحضارتان الغربية، والمسيحية الآرثوذكسية قد نشأتا من الحضارة الهلينية عن طريق "المسيحية"، والحضارة التي في الشرق الأقصى بفرعيها الكوري، والياباني قد تولدت عن الحضارة الصينية بواسطة "المهايانا" كذلك تولدت الحضارتان الايرانية والعربية عن الحضارة السريانية بواسطة "الاسلام"[19]". يتضح هدف توينبي باعتبار المضمون الرئيسي للتاريخ الانساني هو الدين، أصبح هذا التاريخ لايمثل سوى مرحلة في عملية صعود من المجتمعات البدائية إلى الديانات الكبرى عبر الحضارات.

توليد وتأثير المجتمع الإسلامي

إن توينبي يعتقد كيفية حدوث الأوضاع المتشابهة داخل المجتمعات، كما يعتقد أن جميع الوحدات الاجتماعية تمر بالأوضاع داخل دورة حياة. حينما يدرس توينبي المجتمع الاسلامي والمجتمع السوري، يشير في البداية إلى وجود الأوضاع الأساسية التي تميز كل حضارة[20]، كما يقول توينبي: "إذا عقدنا مقارنة بين توأمي مجتمع الإسلام وتوأمي مجتمع المسيحية؛ وجدنا أن المجتمع الإسلامي الذي ولد فيما يمكننا تسميته المنطقة الفارسية التركية أو الإيرانية، يشابه بعض الشيء المجتمع الغربي"[21]، و في تسمية الحضارات عجز توينبي لتسميات للمسلمين، سمى للمسيحين والغربين، المسيحية الكاثوليكية و المسيحية الأرثوذكسي[22]. ويقول عن المجتمع الاسلامي: "يمكننا أن نتبين نموذجاً آخر للمجتمعات الحية بالرجوع إلى خلفية المجتمع الاسلامي الذي اشتمل تاريخه على قيام الدولة العالمية، والديانة العالمية ومقاومة الهجمات البربرية، ... فالدولة العالمية هنا "الخلافة العباسية " في بغداد والديانة العالمية هي "الإسلام" وهجمات البرابرة قد نشأت عن الاتراك والمغول وبدو الصحراء ، ... ولقد استغرقت الفترة ما بين هجماتهم، واقامة الدول على حدود الخلافة حوالي ثلاثة قرون"[23].ووفق هذا أسئلة كثير كما يشبه آرنولد توينبي الخلافات

---

18 نيفن جمعة علم الدين، **فلسفة التاريخ عند توينبي**، ص 97، 98.

19 Arnold . J Toynbee , ***A study Of History*** ,7th , impression (London: Oxford University Press , 1956) Vol. II, P. 393.

20 نيفن جمعة علم الدين، **فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي**، ص 110.

21 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 1 ص 29..

22 أرنولد توينبي، **بحث في التاريخ**، ج 1 ص 56.

23 Arnold J. Toynbee, ***A Study of History***,Vol. 1 P. 67.

الإسلامية مع الملوك الأخرين لحضارات أخرى، يقول "زياد عبد الكريم النجم": يعتقد توينبي أن الأسلام يحمل مبادى سامية، إذا قُدّر لها أن تطبق في الحياة الاجتماعية، للبروليتاريا العالمية الحديثة. ويقصد بها مجتمعات العالم الثالث،وبين كيف استطاع الإسلام عن طريق الإقناع الديني، وحقق ما لم تستطع تحقيقه القوانين الخارجية الغربية. ورأى أيضاً كيف استطاع الإسلام أن يسد الفجوة الروحية في بعض المجتمعات[24].

حياة النبي محمدﷺ في نظر آرنولد توينبي

كالباحث أريد أعرف عن فكر توينبي كما يبرز نفسه كمؤرخ، ذكر عن الحضارات والأديان المختلفة في العالم، و عندما تحدث عن الدين الإسلامي أبرز وجهة نظره لذلك عرفنا بعض نظرياته، يقول؛ ولد محمد في نطاق البروليتاريا العربية الخارجية للإمبراطورية الرومانية في عصر كانت العلاقات بين الإمبراطورية وبلاد العرب قادمة على أزمة. ويدعي أنه قبل مولد محمدﷺ بلغ اقتحام التأثيرات الثقافية الواردة من الإمبراطورية لشبه الجزيرة العربية... تولد طاقة مضادة تصد تلك التأثيرات الثقافية الدخلية على بلاد العرب. ويقول كان على الرسالة المحمدية أن تقرر الشكل الذي يتخذه رد الفعل للتحرر من التأثيرات الهلينية. وذهابه وعودته ﷺ للتجارة ثمة مظهران في التاريخ الاجتماعي للإمبراطورية الرومانية في عهد الرسالة المحمدية، يضيفان تأثيراً عميقاً على كل باحث في الشؤون العربية. خاصة هذين الجانبين قبل البعثة المحمدية:

الأول – انتفاء عنصر الوحدانية في الفكرة الدينية.

الثاني – انتفاء القانون والنظام وهما دعامة كل حكومة.

يقول توينبي، بعد انتفاء هذين المظهرين، كرّس محمد ﷺ حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة الاجتماعية العربية. وتم ذلك فعلاً بفضل نظام الإسلام الشامل الذي ضم بين ظهراني الوحدانية والسلطة التنفيذية معاً في صورة عربية. فلذلك يسلم توينبي جانب الاسلام فغدت للإسلام بفضل ذلك، قوة دافعة جبارة؛ لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالة إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبة الجزيرة، واستولى على العالم السوري بأسرة من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراس. وقد استغرق هذا العمل الذي يبدو أن محمداً ﷺ قد بدأه في السنة الأربعين من عمره، مرحلتين:

الأولى – انصب اهتمامه خلالها على رسالته الدينية؛ ولقد لبث قبل ذلك خمسة عشر عاماً يشتغل بتجارة القوافل بين الواحات العربية والموانى الصحراوية السورية للإمبراطورية الرومانية، وعلى طول مشارف السهب العرب الشمالي. ثم عاد في سن الأربعين إلى إبلا غ رسالته الدينية. واختتمت المرحلة الأولى بهجرة.

---

[24] زياد عبد الكريم النجم، **توينبي ونظريته التحدي والاستجابة**: الحضارة الأسلامية نموذجاً،2010، ص 210

الثانية – وفيها غطت الشؤون السياسية على الرسالة الدينية بل حجبتها. والواقع يتخذ المسلمون من الهجرة مبدأ لتأريخ العصر الإسلامي. لأنهم يعتبرونها حدثاً حاسماً في الإسلام. فإن محمداً قد غادر مكة هارباً مطارداً، عاد إلى مكة بعد سبع سنوات سيد نصف الجزيرة العربية[25]. هذا فكر توينبي في ضوء كتابه "مختصر دراسة التاريخ" وعندما رجعت إلى كتابه "تاريخ البشرية" كان كلامه كمؤرخ لبيان الواقعات والحادثات، وبعض النقاط أشرت في الهامش بأنه يختلف في هذا المكان وذكره في كتابه آخر بطريقة أخرى. أما بيان هذا الموضوع عن "حياة النبي" في السلبيات، ليتعلق كاملاً بهذا المبحث، لأن أكثر الأشياء منه من ايجابيات آرنولد توينبي.

ويذكر توينبي عن الدين الاسلامي في حياة النبي محمد ﷺ، فيقول عن الدين الاسلامي: "كان اليهود والمسيحيون في نظر الاسلام "أهل الكتاب". وكان القرآن آخر ما أنزل على النبيين، وقد أنزل قرآن عربيا لعل الناس يعقلون. وقد كان محمد ينتظر من المتهودة في يثرب أن يولوه تأييدهم وأن يقفوا الى جانبه. وقد كان ما يحمله على ذلك هو أن التوحيد هو الحقيقة الرئيسية في الاسلام، كما كان في كتب اليهود والمسيحيين. وعلى كل فان اليهود الذين ثابروا بعناد على يهوديتهم ولم يقبلوا المسيحية بديلاً عنها، ما كانوا ليتخلوا عن يهوديتهم ويقبلوا القرآن، وقد أنزل بالعربية. لم يقبل يهود يثرب، كما قبل وثنيتها، دعوة محمد إلى الاسلام، لكن اليهود تصرفوا تصرفا متهوراً أخرق دون ان يكون لذلك داع، فانهم فضلا عن نيلهم من القرآن بالذات، نظموا عصياناً واشتركوا في مؤامرة ضد المسلمين، فحل بهم العقاب، فصودرت أملاكهم واجلوا عن المدينة تدريجاً، ثم صودرت الاملاك في خيبر. "[26]

سلبيات توينبي في فكر الدين

يبدو التناقض واضحا بين مفهوم توينبي للتاريخ، وأساس الحركة التاريخية ومفهوم المادية التاريخية التي تضع مفهوم (التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية) بدلا من مفهوم الحضارة عنده. حينما يصور توينبي التاريخ على شكل شجرة تنمو عليها الحضارات كالغصون كل غصن منها إلى جانب الآخر، و أن كل حضارة تمر بمرحلة النشوء والنمو ثم التدهور والانحلال فان المادية التاريخية لا تنكر الارتباط الذي يكون بين هذه الفروع في مراحل معينة، أن التاريخ مسيرة واحدة، ولكن تجاهل وانكار العوامل الاجتماعية والتقدم التاريخي يفضى دائما إلى نظريات وحيدة الجانب تعتمد على عوامل التقنية والعلم، وتصور المدنية عند ذلك كنهاية للحضارة، حسب هذا التصور فإن الحضارة تنتهى في المدينة[27].

---

[25] أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 1 ص 380 – 383.

[26] أرنولد توينبي، **تاريخ البشرية**، ص 456.

[27] نيفن جمعة علم الدين، **فلسفة التاريخ عند توينبي**، ص 99.

يتتبع توينبي مراحل التطور التي تمر بها الحضارات، فبعد عملية نشأتها ونموها، تدخل الحضارة في مرحلة الانهيار الذي ينتج عن خطأ الأقلية المبدعة أو الخلاقة. حيث يعتقد توينبي أن كافة المجتمعات قد مرت بمرحلة الانهيار، عدا مجتمعا واحدا المجتمع الغربي[28]. ممكن لم يعرف توينبي الأيام الماضية والخالية للغرب، ويعرف فقط عن المرور من مراحل الانهيار للمجتمعات الأخرى. وهو بنفسه قسم علاقات الحضارات حسب الأديان، ومع ذلك يحكم النجاج للغرب، وهذا تحيز ظاهر يقدح في نزاهة المؤرخ.

وقد توقف بعض شراح توينبي عند الاهتمام الذي أبداه بالإسلام كدين وكحضارة، فإنه قد خصص مقالاً خاصاً عن "الإسلام والغرب في المستقبل" هذا الاهتمام من جانب توينبي بالإسلام هو الذي دفع بالأستاذ Eorth Hddueil لأن يخصص دراسة عن "مفهوم آرنولد توينبي لمستقبل الإسلام"، وتوضح هذه الدراسة مفهوم توينبي لهجوم الغرب على الإسلام على أنه جزء من عمل الغرب الضخم الذي يهدف إلى ضم كل البشرية في مجتمع ضخم واحد، وهذه المواجهة الحالية للغرب مع الإسلام... ويرد توينبي ذلك إلى أن الغرب المعاصر متفوق على الإسلام ليس في السلاح فقط، وإنما في أساليب الحياة الاقتصادية، وفوق كل شيء في القوة الروحية التي تحقق وتحافظ على المظاهر الخارجية لما نسميه بالحضارة، ويوضح توينبي أن من يقف في مثل هذا الموقف ليس أمامه –وفقا لسوابق تاريخية– غير بديلين للإستجابة لمثل هذا التحدي: فالذي يتعرض لمثل هذا الهجوم إما أن يستجيب له بشكل متعصب أو الاستجابة الفعالة له، والشكل الأول من الاستجابة يلجأ إليه من يرفض الاعتراف بأي شيء جديد وينطوي على نفسه في مواجهة المجهول، وهو في هذا توجيهه الغريزة فقط، أما البديل الثاني في الرد على الضغوط والاستجابة لتحدي الغرب فهو يمثل الاستجابة الفعالة والتي تعتمد في مواجهة الذي يتعرض للهجوم لمن يهاجمه على أرضه وباساطيله وأسلحته، وهو في هذا ينظر إلى الخطر في عينيه مباشرة. وأول من اتبع البديل الثاني في الإسلام كان محمد علي باشا، وبينما لم ينجح السلطان العثماني سليم الثالث في إصلاحاته فإن تركيا الحديثة قد واجهت البديل الثاني بتماسك يدعو للإعجاب حيث أخذت سواء في هيكل الدولة أو في مجتمعها بالفكر الغربي. ومع هذا فإن توينبي يعبر عن شكه في هذه التجربة وفعاليتها في النهاية، ويتساءل هل الوصول إلى هذه الغاية وأتباع هذا البديل كان يستحق ما بذل من أجله من عذاب، وهل إقامة دولة أو أكثر على النموذج الغربي يشكل حقا إثراء للحضارة، ويجيب توينبي بالنفي على هذا السؤال ذلك أن النجاح الذي تحقق بإقامة الجمهورية التركية قد أفاد الأقلية الصغيرة جداً فقط أما الأغلبية فليس لديها حتى الأمل في أن تصبح عضواً ولو سلبياً في الطبقة الحاكمة للحضارة لمقلدة[29].يظهر من هنا كيف أن توينبي يرى تفوق الغرب في كل شيء بسبب مسيحيته وبغربيته، كما يظهر من كتاب "دراسة التاريخ"

---

[28] أيضاً ص 92.

[29] **نظرات في أرنولد توينبي**، ص 114-115

انتصاره للغرب والمسيحية في نهاية كل كلام. ويظهر من اقتباساته عن الإسلام أنه لا يعرف عن الإسلام شيئاً كما أنه يعد الإسلام من الحضارة السريانية[30]،أن أرنولد توينبي في كل بحثه التاريخي عن الحضارة ربط العرب والإسلام مع حضارة السريانية وهذا ينافي الحقيقة، وفي كل بحث ذكر تتمة الحضارة السريانية رابطاً مع الإسلام،... هذا هو خطأ كبير من أرنولد ويظهر منه ليت أنه ما طالع الإسلام والعرب بالعمق والفكر... وهذا ضد خصائص المؤرخ المنصف وصاحب الحق... خاصة ترجمة الأردوية لكتابه "مطالعة تاريخ" لغلام رسول مهر[31]. وعندما يذكر الفرقة الإسماعيلية يقول عنه أنهم يعتقدون عن الحاكم بأمر الله أنه كان إله، وكان لخلفاءهم صورة الرمزية لله نهائياً[32]، حيث لم يوجد هكذا الفكر في الاسماعيلية، وعند ما يذكر عن الملك المغولي الهندي أورنك زيب عالمكير، يقول أنه كان يريد أن ينفذ إسلامه[33] (بتشريحات نفسه)، وكذلك يذكر توينبي أن العباسيين جلسوا على عرش الخلافة باستعانة غير العرب[34]، حيث هم كانوا أقوام غير العرب من المسلمين وكانوا من جهة إيران[35].

حتى إن توينبي لايعرف عن حياة النبي محمد ﷺ ولا عن المجتمعات العربية القديمة خاصة عن مكة المكرمة والمدينة المنورة، بسبب إنه يعتقد أن تعليمات محمد ﷺ ماخوذة من تعلميات المسيحية ومن اصطلاحات الفلسفة اليونانية، ولكن نظم محمد ﷺ هذه ا لتعليمات وكان ينفذ عليه وعلى اتباعه[36]، ويقول في مقام آخر أن تعليمات النبي محمد مأخوذة من اليهودية والمسيحية[37]. ويقول أن هجرة الإسلام هي ليس تاريخ ذهبي وتأسيسي للإسلام، بل هي تاريخ التدمير للإسلام، بأن وجّه كالبربر ولكن بالأسف اشتهر كالدين العالمي، أو حصل منزلته العليا في الدين[38]...

وعندما بين توينبي كيفية نشر الإسلام في "مختصر دراسة التاريخ" بينته في مقالتي في الجزء الثاني فيه الباب الأول في الفصل الأول في المبحث الثاني تحث عنوان "الأقوام والأديان المختلفة"، يدّعي حسب فكره بدون دراسته عن تاريخ الإسلام أن الأمويين من الناحية الشخصية كانوا وثنيين في الباطن لا يعبئون بنشر

---

30 توينبي، **مطالعه تاريخ**، ص 1/411

31 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 1 ص 27، ج 2 ص 55 و 329، 30، ج 3 ص 307-310 و 451 – 455 ، ج 4 ص 17. أرنولد توينبي، **مطالعه تاريخ**، ترجمة: غلام رسول مهر، ج 1، ص 411.

32 توينبي، **مطالعه تاريخ**، ص 1/727

33 أيضاً، 1/724

34 أيضاً، 1/723

35 ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج4 ص 125.

36 توينبي، **مطالعة تاريخ**، 1/723

37 أيضاً، ص 1/615

38 أيضاً، 1/720

العقيدة الإسلام، إن لم يناهضوها، وإن كانوا قائمين على زعامتها اسميا. ويدعي على أن كثيراً من المدخولين في ا لإسلام كانوا هكذا بسبب زعامة الإسلام في المناطق، ويبين كيف أرجع العباسيون للخلافة من غير العرب ويسلم أنهم كانوا مخلصون مع الإسلام[39]. هذا هو اتهامه على الأمويين بالتشدد لإنه كان يريد أن يذكر الجوانب السلبية فكان عليه أن يذكر الجوانب الإيجابية، ليس أن يتهمهم في الدين ونسي الفتوحات الإسلامية في عهدهم، وأنّهم عمّروا المسجد الحرام والمسجد النبوي والأقصى وقبة الصخرة وغيرها من الإنجازات.

أنني ذكرت عن حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في مبحث الإيجابيات، ليس ضروري أن يكون كل فكره ذكرها توينبي عن الحياة النبي والمسلمين إيجابياً. أما هنا سيكون الجانب السلبي، إن توينبي دخل في بيان المجتمع الإسلامي و أخطأ في بيانه كما بين عن المجتمع الإيران والعربي والمجتمع السرياني/السوري. يقول توينبي خاصة حسب ما يريد أن يتعلق الإسلام مع الآديان الأخرى، كما يقول: أن قوة الإبداع في الإسلام ليست غريبة عن المجتمع السرياني/السوري بل هي منه. فقد استمدّ "محمدﷺ" مؤسس هذا الدين إلهامه من اليهودية بالدرجة الأولى، وهي ديانة سريانية/السوري محضة. وبالدرجة الثانية من النسطورية، وهي شكل من أشكال النصرانية استعاد بها العنصر السرياني/السوري أرجحية وتغلبه على العنصر الهليني. أن الإسلام نشأ من أصل لم يكن غريباً بل أصيلاً من المجتمع[40]. أنه يعلن عن عبقرية الاسلام والنبيﷺو المسلمين، ولكن عندما يصل الى غاية المجتمعات يتهم الإسلام بطريقة، هذه الطريقة ليست نزيهة. ولذا يقول: "أن الجرثومة المبدعة في الإسلام لم تكن غريبة عن المجتمع السوري، بل إنها منه. وإن ما أتى به الإسلام عن اليهودية وهي ديانة سورية محضة وعن المسيحية النسطورية وهي أحد أشكال المسيحية ساد فيه العنصر السوري على العنصر الهليني؛ وإنما هو مصداق لما ورد في القرآن "مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ[41]"[42]. علينا أن نفهم أنه كان عاجزاً في بيان عظمة الإسلام وأنه أنقى وأوضح من الديانات الأخرى.

نتائج البحث:

أن هذا البحث يذكر حياة المستشرق أرنولد توينبي ليعرف عن حياته العلمية حول موضوع "تاريخ":

- حول هذا البحث وصلت على أنه اجتهدت من طرق العلمي والسياسي ليعرف ما هي حقيقة التاريخ الإنسان، فوصل إلى فكر "الحضارة" كابن خلدون، لذا أشاد له توينبي عدة مرات في الكتاب.

---

39 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 2 ص 355.

40 أرنولد توينبي، **بحث في التاريخ**، ج 1 ص 62 ، 63.

41 **القرآن**: 3/3

42 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 1 ص 33.

- فكره "الحضاري" يفسر عن فكره الديني الايجابي، حيث يقول ويدعي أن في العالم ثلاث أديان العظمى، بدون كلام على "أي منهم على الحق"، رأيه جيد "إذا ما ألقينا نظرة على الهيئات الدينية الكبرى المنتشرة في العالم في الوقت الحاضر: المسيحية والإسلام؛ سنجد أن الجمهرة العظمى من مريديها..."[43]، لكنه ارتكب أخطاء في تعزيز تفكيره،
- أولاً: كما ذكرت عن فكره الحضاري عن الدين، كمؤرخ مسيحي أخطأ في ذكر تاريخ والحضارة الإسلام ك"يرى تفوق الغرب في كل شيء بسبب مسيحيته وبغربيته، كما يظهر من كتاب "دراسة التاريخ" انتصاره للغرب والمسيحية في نهاية كل كلام. ويظهر من اقتباساته عن الإسلام أنه لايعرف عن الإسلام شيئاً كما أنه يعد الإسلام من الحضارة السريانية[44].
- ثانياً: أن آرنولد توينبي في كل بحثه التاريخي عن الحضارة ربط العرب والإسلام مع حضارة السريانية وهذا ينافي الحقيقة، وفي كل بحث ذكر تتمة الحضارة السريانية رابطاً مع الإسلام،... هذا هو خطأ كبير من آرنولد ويظهر منه ليت أنه ما طالع الإسلام والعرب بالعمق والفكر..." يقول توينبي خاصة حسب ما يريد أن يتعلق الإسلام مع الآديان الأخرى، كما يقول: أن قوة الإبداع في الإسلام ليست غريبة عن المجتمع السرياني/السوري بل هي منه. فقد استمدّ "محمدﷺ" مؤسس هذا الدين إلهامه من اليهودية بالدرجة الأولى، وهي ديانة سريانية/السوري محضة.
- النسطورية، وهي شكل من أشكال النصرانية استعاد بها العنصر السرياني/السوري أرجحية وتغلبه على العنصر الهليني. أن الإسلام نشأ من أصل لم يكن غريباً بل أصيلاً من المجتمع[45].

على نهج العلمي وضح جوانبه الإيجابية و السلبية عن فهمه الدين خاصة عن الإسلام، كما أشرت لاحقاً.

---

43 أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1 ص 358.

44 توينبي، **مطالعه تاريخ**، ص 1/411

45 أرنولد توينبي، **بحث في التاريخ**، ج 1 ص 62 ، 63.